

إلى لحظة ساكنة تتكرر

تشارلي خليل برنس

٣ أيار - ١٤ حزيران ٢٠٢٥



على صاحب الخوذة الزرقاء تطبيق القاعدة الفائلة بأن عليه أن يرى السكان المحليين مجرّد مدنيين يسعون كل يوم. فهذه هي وظيفته أن يرعاهم وهم يذهبون إلى السوق ويشترون دجاجة طازجة ويجمعون التوابل المطحونة ويأخذون استراحة القهوة عند الحادية عشرة وعشر دقائق، في اللحظة التي تُكْمَل فيها الرياح تمويج الأمواج، وحين تثنّ جوليا بطرس عبر الراديو الصغير المُلقى فوق مكعب الإسمنت، وحين ينحدر الملح من الهواء ويتغلغل في عروق الحياة ويعلق في أخاديد الكراسي البلاستيكية، ليُمسي مُلحياتٍ منمنمة في قلب شقوق الراديو المتعزّق، فيشيخ صوته مئة عام.

الفوسفور يحاكي الغيوم المنتفخة كبصمة متوارية، مثلما ينتحل السمكُ الحجرَ ومنلما تنقّص الحشرة وتَدّ التطعيم ومثلما يتشبّه الهجومُ بالدفاع، فيُوعز الفوسفور إياه إلى كل عين بتزوير ما تبصره الأخرى، ضمن أسطورة التشويه الأبدي، حيث اللافتة تزَيّف المنعطفَ وتموّه الجذرَ المقنّع بالطعم، وحيث الحدودُ ندوبٌ تشهد على مأزقها.

في قُبّة السماء، كُنّا لنبني بيوتنا، حيث يُقال إنّ الأزرق يبعث على السكينة، وكان ليعمّ سلام. ولو كانت السماء وعرة كالجبال، لكُنّا أرجأنا جدالاتنا حول كفاف القارات، تلك الطوافات الجيولوجية التي لا تحرّكها المجاذيف، ويستحيل رتقها، لكننا ها نحن أمام هذا الكفاف الفاض، أمام هذا الفيض الأزرق على البحار والمحيطات، ننتظر أن تنبثق من السماء هيئةٌ ما تأتينا بالجواب.

2.

جنود يخلّعون كراسي ليصنعوا منها طوافات يسخّنون بها الصيف. ميزانيات عملاقة تحدد شكل أنلام الشرق المفلوح. وكلما تأهّبت الأمواج، بتّ الراديو زبد البحر. يطلق الملح صريراً وهو ينحدر من الرياح، ليلتقط ظلّ الغزاة متلبّساً. الغيوم تقلّد القسوة لتنبّتها، بينما يفصل الاسمنت الـ "إذا" عن كل اشتراط. والصوامع تدّخر زمن العيش المشترك. والفاصل بين القفز والسقوط مهلة عذبة.

طفلاً قبل أوانه، ملقى على مكعب إسمنت، يتجذّر في الهوان. ويأمل الأوتوستراد الأزرق في كسب استراحة وجيزة. خوذةُ تُدوي السماء، تتوسّل في انتظارها أسلوب الناس المُؤجّلين. والناس يوزعون دوائر بلا بدايات.

السماءُ توزّع الساعات على باقات من اثنتي عشرة ساعة.
الزمن قبةٌ تنجز تشييد الأساسات.
وثمة إصبغٌ تخفّف من وطأة الكوكب.

1.
خوذةُ زرقاء على أوتوستراد الناقورة والصيفُ بلا غيوم والنباتات عبّية، مغبرّة من التلوث... هل رأيتهَا؟ زرقة الخوذة كانت كزرقة السماء، تخالها. شامةٌ على خدّ أزرق، كأن للسماء تضا

ولو كانت السماء وعرة كالجبال، لتسلّقناها مشياً على الأقدام، ونقشنا اسمها على سفحها، وحفرنا قبورنا فيها. وهكذا، عندما نُوارى الثرى الأزرق في القبة الكبرى، نكون قد اجتزنا وهم الوجود، فلا نعود في حاجة إلى الصعود أكثر.

حين كنت ترصد الخوذة الزرقاء التي يرتديها جنود اليونيفيل - فرقة من الأمم المتحدة مكلفة بحماية لبنان من الغزو الإسرائيلي بميزانية قدرها خمسمئة وعشرة ملايين دولار وعشرة آلاف جندي دولي - كنت لا تزال تصدّق أصحاب المبادئ، مثلما كان الناس يثقون بالملوك ولا يزالون.

كان ذلك المتعمّم بالخوذة الزرقاء من كاتالونيا. أُرسِل إلى جنوب لبنان من أجل تعميم السلام، وكان مستوفياً كل الشروط المطلوبة: قوياً البنية، متيقظ، لطيف. اختيرَ بسبب تعاطفه، ذلك التعاطف الذي يصنع كل الفرق لحظة تجيش غريزة المجابهة في نفسه وتدفعه إلى وضع إصبعه على الزناد. كانت مهمته حماية أولئك الذين يُعرفون بـ "الناس المتكثّلين"، على أن لا يختلط عليه أمرهم مع "الناس الفرّادي" - أولئك الذين يمكن فصل المجرم منهم عن جذوره، وفك ارتباط قتله النساء بوحشية تُسمّى "إرهاباً"، ذلك الإرهاب الذي يُنسب حصراً إلى شعوب الشرق المُشوّشة، بناءً على فكرة أنّ جذوره تمتدّ في رحم الأم العربية، وأنّ طفلها حتى ولو وُلد قبل أوانه، سيكون حتماً مسخاً.

السماءُ تتصبّب عرقاً، تنقّب في الأمواج
التي شربت القهوة والتوابل
بجرعات ملؤها التعاطف.

وشقوق الرياح اللطيفة تُسمّي في مسارها جريمة قتل النساء:

شكلٌ كرسّيّ أزرق في قاع البحر.

القفزُ هو علم تنسيق الأرجل في باقات.

وأثناء السقوط، يُطلق كلُّ غصنٍ اسماً على كلِّ موجة،
فيما الكوكب ينتظرها فاردّاً خدوده العملاقة.

طوافات الزمن تعيد طلاء الأزرق المخترّم.

هل ثمة قاع للسماء؟

أسماكٌ على هيئة زمن؟

وفي العمق، تتساءل الساعات إن كنتَ
تعاينُ صمتها.

هدى عدرة

ترجمة زكي

محفوظ

في توزيع المهمات الزرقاء،
تراقب السماء العمل المحرّم على البحار:

- الأمد

- التحليق

- الجاذبية

3.

لقد دَفَعنا إلى العالم

كلّ هذا الفاض من المبادئ.

الغيوم تُحدّق منتظرة هَمْدَة.

أحد عشر رضيعاً من ملح يذگرون

أحد عشر رضيعاً من أطفال الصوامع:

القفزُ هو السقوط على السماء.

الدجاجة ترى في القبة رتابة عمل الأزرق

الدولي الذي يدأب على تقسيم الزمن إلى رايات.

الجنود يفككون التكتّلات،

يفصلون النباتات عن الأقدام.

على مكعب، يجري فَنُّ ارتباط الماء بمنبعه.

الإسرائيلي يغرس منمنمات صوتية

في قلب يوميات بلاستيكية.

OBORO

un centre dédié à la production
et à la diffusion des arts visuels,
médiatiques et numériques

4001, rue Berri, espace 301, Montréal (Qc) H2L 4H2
www.oboro.net oboro@oboro.net 514.844.3250